بعض من جنبات التعيين

Some aspects of identification

دانييل لاجاش

ترجمة السيد البدوي فتحي صديق

حالة المشكلة

هناك نهجان متباينان للغاية في تناول محددات الشخصية من خلال المتغيرات الاجتماعية. على المستوى الاجتماعي الكلي، ترتبط الشخصية ارتباطًا وثيقًا بمحددات اجتماعية واسعة. وعلى المستوى الاجتماعي الجزئي، تعتبر التنشئة الاجتماعية للسلوك والشخصية عملية مستمرة من التوافق مع المجموعات التي يكون الفرد على اتصال مباشر بها. لقد كان التحليل النفسي أول مساهم رئيسي، أو على أي حال المساهم الأعظم، في فهم الدور الذي تلعبه عمليات **التعيين** identification في هذا الصدد.

إن دراسة هذه العمليات تعد صعبة لعدة أسباب: (أ) يعتبر التشكل المعياري للشخصية، في أي مجال ثقافي معين، ظاهرة واضحة جلية، في حين يعتبر التعيين عملية مخفية؛ (ب) إن ظاهرة واضحة من قبيل التشكل المعياري هي ظاهرة لا-شخصية، في حين أن التعيين هو ضرب من العلاقة البينشخصية؛ (ج) إن عمليات التعيين هي عمليات ذات طبيعة روحية (صوفية) ومجسمة في طابعها- مما يعني أن العقل العلمي يعتبرها موضع شك ويصعب التعامل معها. ومع ذلك، فإن هناك ثمة نزوع غالب ومتكرر في الاستناد الي مفهوم التعيين والرجوع اليه فيما يتعلق بمجموعة واسعة من الظواهر المعقدة. ولذلك، قد يكون من المفيد النظر في مسألة التعيين طرح فرضيات بعينها بشأن الذات. والأهم من ذلك هو أنه يمكن توضيح السمات الغامضة المختلفة لعمليات التعيين إذا ما استرشدنا بمفهوم الاعتمادية المتبادله فيما بين الأدوار الاجتماعية، عند النظر في هذه العمليات.

التعيين- المفردة والمفهوم

ينطوي التعيين علي ضرب من علاقة بين ذات وموضوع، أو، بشكل أكثر اختصارًا، علاقة بالموضوع بين موضوعات؛ وعلى وجه الخصوص ضرب من علاقة بين أشخاص، وإن لم يكن حصرا، حيث قد يكون هناك في بعض الاحيان علاقة تعيين بين ذات، هي بالضرورة كائن حي: انسان أو حيوان، في حين قد يكون الموضوع كائن أو شيء ما.

إن من الغريب بما فيه الكفاية أن كلمة **"التعيين"** تشير إلى علاقة-بالموضوع هي ليست مختلفة المتباينة فحسب، بل بالمتضادة، بل وحتي بالمتعارضة تمامًا في أي تصنيف منهجي للعلاقة بالموضوع.

إن التعيين هو، أولاً وقبل كل شيء، فعل ان يقوم فيه المرء بتعيين نفسه مع موضوع ما (ان يكون هو نفسه عين موضوع). ويُعتقد عادةً أن التعيين يتخذ شكلين، وفقًا لما إذا كانت الذات هي نفسها من تتصرف وتعمل كموضوع أو أنها هي من تفرض دورها الخالص المناسب على الموضوع.

إن أشكال التعيين "الخاطئة أو الهلوسيه" heteropathic و"المجهولة" idiopathic التي كان قد حددها ماكس شيلر Max Scheler، ضمن حدود معينة، يمكن ربطها بالاستدماج والاسقاط على النحو الذي يصفه المحللون النفسيون. وأنا شخصياً أفضل المصطلحين التعيين " خارجي التشكل" و "داخلي التشكل" "Alloplastic" و"Autoplastic". إن أي علاقة بالموضوع من هذا القبيل تتسم بملمحين متمايزين: (أ) إنها تنطوي دائمًا على درجة معينة من الخلط بين ذات وموضوع؛ (ب) انها علاقة وجودن أو تعايش، وليست بعلاقة معرفة.

لكن التعيين هو أيضًا عملية تعيين موضوع ما: على سبيل المثال، يقوم شخص ما بتعيين هويه مجرم، أو تعيين مسحوق ما على أنه يتكون من كبريتات الفوسفات المحايدة. إن فعل التعيين له ملامح تتعارض تمامًا مع تلك الملامح التي تميز فعل التعيين الذاتي self- identification: الذي هو (أ) فعل لظاهرة إدراك تصوري cognition، وليس بظاهرة وجودية؛ (ب) يستلزم فعل الادراك التصوري هذا أقصى قدر من التمييز فيما بين الذات التي تُعيّن نفسها والموضوع الذي يتم التَعيين به. وأنا شخصياً، أفضل في مثل هذه الحالات الحديث عن "التشكل الموضوعاتي" objectivation (أي أضفاء صفة الموضوع علي الشيء)، وأن يتم تطبيق كلمة "تعيين" identification فقط على التعيين الذاتي self-identification ونتائجه.

الحقيقة هي أن استخدام كلمة واحدة للاشاره الي مثل هذه الظواهر المختلفة على نطاق واسع لا يمكن اعتباره أكثر من مجرد حادث مؤسف للدلالات السيمانطيقية. ويمكننا أن نذهب الى ما هو أبعد من ذلك ونؤكد على الفرق الراديكالى بين علاقات التعيين وعلاقات التشكل الموضوعاتي objectivation relationships، حيث تنطوي الأخيرة على ضرب من التمييز بين الذات والموضوع. ومن ناحية أخرى، فإن استخدام نفس المصطلح قد يمكن عزوه الى درجة بعينها من التشابه بين الوقائع. لأنه في عملية التعيين، يتم إحضار الموضوع ووضعه في علاقة مع صورة ما موجودة في ذهن الذات حيث تفهمه. إن طبيعة الموضوع تؤثر، بطبيعة الحال، على خبرتنا، ولكنها خبرتنا هي التي تحدد قيمة الموضوع ودلالته. وسواء كان موقفنا واقعيًا أو مراوغا مخادعًا، فإننا نتفاعل ونستجيب للموضوع كما لو كان كما هو ما نعتقده. وحتى الموضوع العلمي يتم إحضاره في علاقة مع حاجتنا إلى المعرفة والفهم.

إن الدور الذي تلعبه الذاتية في التشكل الموضوعاتي يكون أكثر وضوحًا في العلاقات البينشخصية. لعلنا نأخذ على سبيل المثال ظاهرة الطرح transference، سواء في الحياة الاجتماعية أو في التحليل النفسي: إن الذات، من ناحية، تموضع (تعطى صفة الموضوع) شخصًا آخرا وفقًا لكينونته الخاصة؛ ومن ناحية أخرى، تماثل الذات هذا الشخص لا شعوريا مع شخص آخر، ينتمي إلى خبراتها السابقة، والذي معه كانت الذات نفسها قد أقامت علاقة تعيين، كونه أحد الشخوص في دراما حياتها الخاصة.

ومن وجهة النظر النشوئية والدينامية بشأن العلاقة بالموضوع، يظهر التشكل الموضوعاتي (اضفاء صفة موضوع) باعتباره الهدف النهائي للعلاقة بالموضوع عندما تسعى الذات تكافح بغية الهروب من التعيين، الذي هو الشكل الأكثر بدائية من العلاقة بالموضوع.

الأشكال البدائية الاولية من التعيين

سؤالنا التالي يدور حول ما إذا كان من الممكن التمييز بين بعض الأشكال البدائية للتتعيين ووصفها في ضوء عمليات إعادة البناء التي قام بها علماء نفس الأطفال والمحللون النفسيون.

يبدو واضحًا أن العلاقة بالموضوع، في أكثر مراحلها بدائية، هي علاقة تعيين: حيث يكون الوعي يدرك شيئًا ما، لكنه لا يختلف عنه وغير متمايز. وفي عبارة كوندياك Condillac الشهيرة "يصبح التمثال رائحة الورد". بينما يعطي ياسبرز Jaspers مثال الطفل الأحمق المفتون بالنور. قد يمر البالغون بمثل هذه الخبرة مباشرة بعد حدوث حالة إغماء. وفي حالة الطفل، يمكن تفسير "المخططات الحسية" الأولى عند بياجيه بهذه الطريقة. يقول فرويد **أن التعيين الأولي هو الشكل الأصلي للارتباط العاطفي مع موضوع ما؛** كما يتحدث المحللون النفسيون أيضًا عن "روح المحيط" sentiment oceanique. وفي الواقع الفعلى، إذا اتفقنا على قصدية الوعي، فمن الصعب أن نرى الكيفية التي يمكن بها أن تفشل هذه الخبرات الشعورية الاولية في أن تكون ضروب تعيينات، بفضل البنية الثنائية للخبرة

وفي بعض أعمال التحليل النفسي، وخاصة أعمال ميلاني كلاين ومدرستها، **ترتبط الأشكال الأولى من التعيين بميكانيزمات الاستدماج الأولي والإسقاط الأولي**. تنتمي هذه الميكانيزمات إلى مرحلة مبكرة من الخبرة تتميز بغياب القدرة على الكلام المتماسك وأيضا بانشطار في الموضوعات (الأجساد، الأشياء، الأنا، المجتمع). لذلك ليس من الممكن متابعة هؤلاء الكتاب إذا ما كان المرء يعوقه النظام المرجعي للبالغين، والذي يلعب فيه مفهومى "الموضوع" و"الوعي النفسي" دورًا أساسيًا. فعلى سبيل المثال، تبدو الفرضية القائلة بأن الوعي الأخلاقي يسبق الوعي النفسي غير قابلة للتصور تقريبًا بالنسبة للسيكولوجي أو المحلل النفسي. ومع ذلك، فقد كشفت التقصيات التي أجراها علماء نفس الأطفال عن الطبيعة غير الكاملة والعابرة لما يمكن أن يسمى "ماقبل-الموضوع" pre-object. علاوة على ذلك، يجب التأكيد على أن هذا ال- ماقبل-الموضوع، سواء كان تأثيره جيدًا أو سيئًا، يكون موجودا في ارتباط مع الحاجات والوجدانات المعنية. ان الخبرات البدائية ت;ون موسومة ومميزة ومتناقضة في نغمتها الانفعالية. وانه من خلالها يؤسس الطفل ويقيم علاقاته الأولى مع الأشخاص المحيطين به، وهذا يمهد ويفتح السبيل لرؤية شيء من طبيعة الثواب والعقاب.

إن العقوبة النموذجية هي الإحباط. وهذا هو ما يدفع الطفل إلى إضفاء طابع خارجي على موضوعات بعينها. هناك سببان رئيسيان لذلك- عدم ملاءمة الصورة التي تجعلها الرغبة هلوسية، ورفض ما هو مؤلم. علاوة على ذلك، فإن الموضوع الذي يتم تجسيده خارجيا يمثل جانبًا واحدًا من خبرة مؤلمة؛ إن تشويه الفانتازية يحوله إلى موضوع مؤذ ضار، يُضعفه الجشع العدواني، ويشكل موضوع خطير.

وترتبط المكافأة بميكانيزمات الاستدخال الأولي للموضوعات التي تلبي احتياجات الطفل وتشبعها - أي الموضوعات الجيدة، التي هي مجرد قبل- موضوعات- عن طريق تجارب تهدف إلى التهام

هذه الموضوعات ، بشكل رئيسي ولكن ليس حصراً، عن طريق الفم. إن الاستدخال الأولي يُبني على نواة أنا بدائي اولي، بحيث يكون لدينا ما يبرر الحديث عن **"انا عليا"** بدائية.

يُعتقد أن التمييز بين الموضوعات الخارجية الجيدة والرديئة ينعكس في تعايش الموضوعات المستدخلة الجيدة والرديئة.

إن فرضيتنا هي أن الوعي الأخلاقي، أو بالأحرى، الشكل البدائي الاوائلي جدا من الوعي الأخلاقي، يشكل المرحلة الباكرة الأولى في خبرة حياة الرضيع. وبفضل العوامل المحددة التي هي بيولوجية وثقافية في آن واحد ومعا، فإن العالم الذي يدركه الطفل لأول مرة هو عالم روحي (صوفي) وعالم ديني حيث أن التمييز بين الموضوعات الجيدة والرديئة يقابله تطور في مفهوم أولي لـ "انا خير". "و" أنا شرير ".

وفي مرحلة أكثر تقدمًا، فإن التنظيم الأولي للخبرة وبدايات الكلام المتماسك هو الذي يجعل من أشكال التعيين سهلة علي الامساك والفهم وربما تتطور انطلاقا من هذه من الإسقاطات والاستدماجات الأولية، وقد تم وصفها بشكل فعال مبكرا وبداية من النصف الثاني في السنة الأولى للطفل: يبدو أن التمييز في الأدوار يعني تمييزًا أوضح بين جسد الطفل والموضوعات الخارجية، وبين الأنا والمجتمع.

ومنذ عام 1931، أشار فالون Wallon إلى أن الطفل في سنتيه الثانية والثالثة لا يزال بعيدا عن القدرة على التمييز بشكل يقيني بين الأنا والمجتمع، وان ذلك يؤدي إلى أخطاء في التعيين. بادئ ذي بدء، إن دور الذات وكينونتها المؤقتة يخضعان لطبيعة الموقف- سواء كانت الذات- مثلا- هي مركز الحدث أوكانت ذاتا متطلعة ومحل نظر. وفي مرحلة لاحقة، يحدث الاستقطاب في أحد قطبي الموقف ويتم موازاته بضرب من المشاركة المتناقضة في القطب الآخر، على سبيل المثال، في الغيرة، حيث يصاحب الشعور بالإحباط الحاجة إلى أن تكون الذات هي الشخص المرضي عنه (موضع رضا). وبعد فترة طويلة، قد تتغير هوية الذات أو المجتمع إذا ما تغيرت بنية المجموعة - على سبيل المثال، من خلال ولادة شقيق أصغر سنا. ويصبح التناقض في تعيينات الطفل أكثر وضوحا عندما يصبح قادرا على الكلام المتماسك: فمن خلال التحدث إلى نفسه، ينقل الطفل إلى شخصيته بوضوح الجانب المزدوج لعلاقته بالمجتمع.

إن لهذه الحقائق أهمية كبيرة في تحديد مفهومنا عن التعيين. إن ما هو مستدخل داخليا هو ليس بصورة المجتمع، ولكنها خبرة علاقة بينشخصية. إن هذا الشخصية المزدوجة تَخرج من عملية استدخال لعلاقة ازدواجية- وبعبارة أخرى من تعيين مزدوج. وهذا هو ما يفسر الإزاحات أو التحويلات اللاحقة التي قد تلعب فيها الذات، حسب الظروف، أيا من الدورين: أي دور الأم، على سبيل المثال، أو دور الطفل؛ أو دور السلطة، أو دور الطاعة (الذات المطيعة).

توحيد الشخصية والتعيين ووحدتهما. يتفق معظم المؤلفين على أن وحدة الشخصية وإنشاء الوعي الذاتي، يتبديا ويتمان في الكلام من خلال الاستخدام الصحيح للضمائر الشخصية، ويحدث هذا مع

السنة الثالثة تقريبًا. وهذه الوحدة لن تكون بطبيعة الحال كاملة. لكنها تكتسب قوتها تدريجيًا، مما يشكل قناعة راسخة بشكل متزايد يمكن من خلالها ربط وعي الأنا مع ضرب من التشكل الموضوعاتي (اضفاء صفة الموضوع)؛ إن الوعي يحدد الأنا باعتبارها موضوعا واحدا وفريدا، دائما ومتسامٍ، ومعها يرتبط الوعي (الانا كونها موضوع) بعلاقة وثيقة بشكل خاص؛ أن الوعي يُعيّن نفسه مع الانا.

إن السؤال عن طبيعة الوعي ب- الأنا لهو سؤال جد أساسي في علم نفس الشخصية. فهل هذه الطبيعة هي ضربا من التفرد (اضفاء الصفة الفردية) لواقع موضوعي، مدعوما ببنيانات مادية، يحدث ضمن إطار خبرة كلية؟ أم هي ضرب من التكامل الدينامي لتعيينات متعددة ومتغيرة وغير مستقرة؟

هناك الكثير من الفرضيات التى تشير إلى أن الفرضية الأخيرة هي الفرضية الصحيحة. حيث تتبع وحدة الانا ضروب تعيينات متعددة. وهي وحدة تكون غير مستقرة، كما يتبين ليس فقط بفعل باثولوجيه الوعي بالذات، بل وايضا بفعل التغيرات والتبدلات اليومية التي تحدث في الانا عندما تتأثر بتنوع العلاقات بين الاشخاص وتباينها. علاوة على ذلك، فقد كشف علم الشخصية التحليلي النفسي أن التعيين مع شخص أخر يلعب دورا في توليف synthesis الانا واستقرارها. وبالمناسبة، هناك بعض المحللين النفسيين من يري أن هذا التعيين مع المحلل النفسي، كونه ذاتا مستقلة، يلعب دورا أساسيا وحاسما في العلاج.

وبالتالي، هناك أسبابا وجيهة وارضيات جيده للاعتقاد بأن هذا التعيين المتميز مع كائن إنساني آخر هو الميكانيزم الذي يجعل من الممكن توليف التعيينات المتعددة التي تسبق وحدة الأنا. ومن خلال مفارقة فريدة، نجد أن التعيين هو الشرط السابق لوحدة الأنا وتأكيدها. وبالنظر من هذه الزاوية، تتبدي الأنا كمفهوم وهمي، والاعتقاد بواقعيتها لهو ضرب من الانحراف من جانب الذات الواعية. ولعل الأقرب إلى الواقع النفسي هو الرأي القائل بأن الوعي ممزق دائمًا بين هذه التعيينات الزائفة والبحث عن "ذات" self هي دوما عصية على الامساك، وإن التنسيق والتناغم الذي يفترضه نص عظيم، عند الحديث عن نص آخر، لا يمكن أن يكون ممكنًا الا من خلال الموت.

<u>التعيينات الثانوية</u>

نقصد بالتعيينات الثانوية البنيانات الدائمة للشخصية واستقرارها، تعريجا على أفعال التعيينات السابقة. يستخدم فرويد هذا التعبير للإشارة إلى تعديل الشخصية، باستبدال علاقة بالموضوع سابقة. هذا المعنى، على الرغم من أنه أكثر دقة، ليس متناقضا، لأنه في كلتا الحالتين يكون لدينا التأثير الدائم للتعليم، واعتماد نظام من العادات، والدوافع والأفعال المميزة لشخص ما آخر.

وليس هذا هو المكان المناسب للدخول في عرض النظرية السيكولوجية للحالات الثلاث، والتي هي نظرية معقدة تحتوي على الكثير من النقاط الغامضة، وتفتح المجال لكثير من الخلافات في الرأي. إن التعيين هنا يلعب دوره الرئيسي في تكوين **الأنا العليا**، وهو ضرب من تعديل دائم للأنا من خلال استدخال صورة مثالية الطابع للسلطة الأبوية. ويربط فرويد تكوينها بخسوف وتضاؤل

العقدة الأديبية التي لم تعد تحكم وتدير احتمالية قدوم "الأنا العليا" أو إمكانية المراجعات والتهذيبات والتعيينات اللاحقة. هناك بعض تفسيرات العلاج التحليلي النفسي التي تعتمد على هذا الاحتمال الأخير.

إن نظرية التحليل النفسي هي انموذج نظري، طرح لصياغة تصورية موضوعية بشأن السلوك والخبرة: إن الهى والأنا والأنا العليا أنساق وأنظمة من الدوافع والأفعال، المتورطة في صراع: حيث قد تتعارض مع بعضها البعض أو تتحالف مع بعضها البعض. والنظرية هي ليست بوصف ظاهرياتي، وبالتالي لا ينبغي التعامل مع هذه الأنظمة المعنية بشكل بنيوي واستخدامها بالمعنى المجسم. وبهذا، تستعيد نظرية التحليل النفسي قيمة وصفية غير متوقعة، حيث أن تطور الفرد يميل أيضًا إلى تبديد شخصية الفرد وإضفاء طابع موضوعاتي علي بنيانات الشخصية: سوف يأتي يوما لن يعد فيه "صوت الضمير" يدوي ويصدي مثل صوت الوالدين.

وبالتالي، فإن بنيانات الشخصية - على الأقل بعضها، إلى حد ما - يُنظر إليها على أنها تنشأ في عملية التعيينات. هناك ارتباك كبير حول هذه الذات، كما أظهرت محاولة جيرالد بلوم Gerald Blum الأخيرة للتوضيح. أقل ما يمكن قوله هو أن تكوينات بنية التعيينات تنشأ بشكل أبكر، وبأعداد أكبر، مما توحي به نسخة شعبية بعينها من نظرية فرويد حول الأنا العليا.

بل إن السؤال الذي يطرح نفسه والذي يتعلق بشأن طبيعة الهى- التي هى نسق الحفزات الغريزية ذات الأصل المادي والتى تسعي لتجد مخرجا لالحاها الاساسي. ربما قد يكون، للحق) هو السؤال عن أي علاقة تكون بين هذه وبين الصورة الخيالية ل- "أنا شرير سيء"، والتي يقارنها سوليفان بـ-"انا خير جيد"، مما يخلق في الوقت نفسه نوعًا من الهوس الروحي الطفولي، النظير الشخصي للهوس الروحي التعليمي.

وثمة سؤال مماثل يطرح نفسه فيما يتعلق بالأنا. إن في التحليل النفسي الأرثوذكسي، تكون الأنا العليا هي ذلك الجزء من الأنا الذي يتم تعديله من خلال تعيينات ذات تحيز أخلاقي. والأنا نفسها هي التعبير عن منظمة مستقلة، وعن وظيفة للواقع، وعن القدرة على التمييز بين ماهو انا وما هو ليس انا. الأنا قادرة على التشكل الموضوعاتي والتشكل الموضوعي، طالما انه لا يتخللها التعيينات الشخصية للانا العليا. لكن ما تكشفه ملاحظة التحليل النفسي هو أن الأنا تتخللها، إلى حد ما، الأنا العليا والتعيينات الشخصية؛ وعملية العلاج تتمثل في الأساس في تحرير الانا من هذه التجاوزات والتعديات. تكشف الملاحظة أيضًا عن الدور الذي تلعبه، في عملية التصفية هذه، التعيينات مع المحلل، كونه موضوعا مستقلا ومنفصلا. وهكذا نكون قد وصلنا إلى استنتاج مفاده أن التطور الفردي للأنا يمكن مساعدته، أو حتى تحديده، من خلال ضرب من التعيين القوي بما فيه الكفاية على نحو يتعارض مع التعيينات المتحيزة أخلاقيا التي تشكل الأنا العليا.

سؤال آخر يطرح نفسه فيما يتعلق بالعلاقة بين الأنا العليا والأنا المثالية. كان تعبير "الأنا المثالية" كان مستخدمًا من قبل استخدام مصطلح الأنا العليا، وفي بعض الأحيان تم إعطاؤه نفس المعنى. ومع ذلك، لا يزال يبقي هناك تمييزا بين التعبيرين، على الرغم من عدم تعريف أي منهما بشكل

واضح. لقد حاول عدد قليل جدًا من الكتاب توضيح هذا التمييز. والشيء الوحيد الذي يبدو مؤكدًا هو أن الأنا المثالية هي امتداد للوهم الطفولي بالقدرة المطلقة. ويظهر هذا ويتبدي بوضوح في شخصية العديد من المجرمين، الذين، على الرغم من أن تعييناتهم المتحيزة أخلاقيا تكون ضعيفة أو بدائية للغاية، قد يمتلكون أنا مثالية ملحوظة بشكل قوي- كما أنه يتضح من خلال ميلهم نحو "تعيين بطولي". إن في الأشخاص الطبيعيين أو العصابيين توجد البنيتان جنبًا إلى جنب، وقد جرت محاولة لصياغتهما بمصطلحات متضادة مثل "اللاوعي-الواعي" أو "سلبي-إيجابي".

ويساعد مفهوم الاعتمادية المتبادلة في الأدوار في تفسير ذلك، وإن الوجود المنفصل للأنا العليا والأنا هو ضرب من الابقاء على تعيين متناقض. وأبسط مثال على ذلك هو العلاقة بين الأم والطفل. ومن أجل الإبقاء على حب أمه ورضاها والحصول على تصديقها، يجب على الطفل أن يضحي ببعض من رغباته الخاصة ويتصرف على النحو الذي تتوقعه امه؛ ان الذات المثالية هي حل وسط وتسوية بين القدرة المطلقة الطفولية والمتطلبات التي تقدمها الأم- وهي شخصية وهمية تُسقط فيها الأنا نفسها من خلال التمثيل والفعل. في بعض الحالات، تتجلى الطبيعة المزدوجة لهذا التعيين بشكل واضح: لقد التقيت برجل ربته والدته على عبادة الصورة المثالية لأبيه، الذي كان قد توفي بعد وقت قصير من ولادته. ومن أجل إرضاء توقعات أمه، التي تم استدخالها في أناه العليا، اضطر هذا الرجل إلى أن يقولب نفسه نموذجيا، حتى في أتفه التفاصيل، على الصورة المثالية لأبيه. وهذا يعني، من الناحية المجردة وغير الشخصية، أن الأنا العليا هي نظام أو نسق للتحفيز، في حين أن الأنا المثالية هي نظام للتمثيل والفعل.

<u>طرح التعيين</u>

يقع طرح التعيين عندما تؤدي التعيينات الدائمة التي تم اكتسابها أثناء تكيف الشخصية مع المجتمع إلى ظهور علاقات بينشخصية جديدة. إن الطرح التحليلي النفسي ينطوي على قيمة كبيرة، لأنه يُمكّن المعالج النفسي من إجراء تحليل دقيق للغاية.

يقوم الطرح، في العلاقات البينشخصية، كما هو الحال في الطرح الأولي لعلم النفس التجريبي، على ضرب من إعادة إنتاج، لا في عناصر متطابقة متماثله، ولكن في معاني وظيفية تكون رمزية، تأخذ شكل أنماط وأساليب متكافئة من السلوك والخبرة.

إن الطرح من شأنه أن يوضح، بأفضل من أي ظاهرة أخرى، التناقض antithesis بين التشكل الموضوعاتى objectivation (أخذ صفة العلاقة بالموضوع)، والتعيينidentification. يرى المحللون النفسيون أن التشكل الموضوعاتي يعد ضربا من الدفاع المتعمد ضد التعيين. غالبًا ما يبذل المريض جهودًا كبيرة للحفاظ على علاقة موضوعية بين الطبيب والمريض، كوسيلة للحماية من مخاطر الالتزام الشخصي والتوريطات الوجدانية.

وفي الختام، يمكن تعريف الطرح بأنه التحول الى واقع fact لوضع بأكمله أو لعلاقة بينشخصية. وهو بذلك ضرب من خطأ وغالباً ما يُرتكب- لنعتبره تقريبا على أنه ضرب من التعيين الاسقاطي الذي من خلاله يصبح المحلل النفسي، حسب الظروف، بديلاً عن الأب أو الأم، أو، كما يحدث

في كثير من الأحيان، بديلا عن انا عليا إضافية. في الواقع الفعلي، يقوم المريض أيضًا يسقط نفسه، أيضا، في شخصية ودور، وهو إسقاط مشوه للأنا يتوافق مع الإسقاط التعييني حيث يكون المحلل هو الموضوع. على سبيل المثال، إذا عيّن المريض المحلل النفسي بالقوى الأخلاقية، فإنه سيحاول أن يصبح، من جانبه، المريض المثالي، متجنبًا أي إجراء من شأنه أن يستدعي اللوم. في الوضع التحليلي اللاشعوري، يشكل المريض والمحلل ثنائيًا وهميًا، حيث يجب على المحلل أن يثبت وجوده وأصله كجزء لا يتجزأ من علاج المريض. ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن مهمة المحلل هي التخلص من هذه التعيينات الوهمية تدريجيا. وكما يقول لاكان، فإن التحليل يكتمل وحسب عندما يصبح بمقدور المريض من أن يتكلم عن نفسه إلى المحلل نفسه.

وحتى عندما تصل العلاقة البينشخصية إلى المرحلة المثالية التي هي فيها يتم التطهير، إذا جاز التعبير، من كل ما يعكر الصفو الطرحى، فهل يمكن القول بثقة آنذاك أن التعيين لم يعد يلعب أي دور فيها؟

<u>التعيين " الراهن"</u>

في الحياة الاجتماعية، تنطوي إقامة العلاقات البينشخصية دائمًا على طرح تعيين مناقض، مما يؤثر على كل من الذات والمجتمع: وهذا موجود دائمًا في الحالات التي يتم فيها حمل العلاقة البينشخصية إلى حدها الكافٍ. ومثل هذه التعيينات لها آثارا جيدة وسيئة على التوافق مع الواقع. هناك ميل لاعتبار أن التأثير السيئ يقتصر على الإسقاط التعييني على الموضوع أو المجتمع، متجاهلاً التعيينات التلقائية ذات الصلة. ومع ذلك، فإن وجود التعيينات الطرحية لا يثبت أن العلاقة البينشخصية يمكن أن تُعزى بالكامل إلى تعيينات السابقة. ولذلك، يجب أن نسأل أنفسنا ما هو هذا الذي يقيد أو يكمل طرح التعيينات السابقة، وهنا يمكن النظر في احتمالين.

الاحتمال الأول هو أن التعيين الطرحى قد يكون مقيدًا من خلال تطوير وممارسة القدرة على التشكل الموضوعاتي (القدرة على اختيار-الموضوع)، مع إدراك خطر أي تعيين داخلي التشكل alloplastic. وأهم مثال على ذلك هو ما يقدمه تطور المعرفة الموضوعية، على الرغم من أن المعرفة ليست القسم الوحيد من الحياة الاجتماعية الذي قد تتطور فيه مثل هذه المواقف والاتجاهات. ومن هذه الاتجاهات، هناك اتجاهات شخصية ايضا: فالتشكل الموضوعاتي لا يمكن فصله عن تولي دورا بعينه، كدور العالم على سبيل المثال، واعتماد هذا الدور يُدخل الذات، بكل المقاصد والأغراض، إلى المجتمع المثالي للعلماء.

والاحتمال الثاني هو أن تطور القدرة على التشكل الموضوعاتي ربما لم يدمر إمكانيات التعيين الذاتي أو الداخلي التشكل أو الخارجي التشكل autoplastic - وإن هذه التعيينات الأخيرة قد تظل حيَّة ونشطَّة، وإن حدوث التعيينات ونطاقها عن طريق الطرح قد يكون مقيدًا بفعل التعيينات الراهنة والجديدة. قد نتساءل بعد ذلك عما إذا كانت العلاقة البينشخصية، حتى في شكلها الأكثر دقة وتقشفًا، ردة فعل لعقل أخر أو خاضعة لعقل آخر، يمكن أن يوجد دونما تعيينات بينشخصية. دعونا ننظر من وجهة النظر هذه إلى عملية التواصل اللفظي.

عادة ما يُنظر إلى الإسقاط على أنه الخطر الرئيسي الذي يحول دون إقامة تواصل موضوعي ومناسب؛ ونظرية العقليات mentalities، التي طورها ليفي بروهل Levy-Bruhl، في فصل بلوند وبياجيه، تسم قدوم النضج العلمي، حيث يحاول عالم النفس الذكي تخيل تجارب الآخرين وخبراتهم كما هي في الواقع، وليس كما قد يتوقع أن تكون. ولكن كيف تتم محاربة التعيين الاسقاطي؟ يبدو أن تطوير القدرة على إضفاء الصفة الموضوعاتيه، الذي قد يتم من خلال إقامة علاقة معرفة بدلا من علاقة الوجود، قد يقدم حلا تقريبيا، على الأقل في مجال العلوم الطبيعية. فهل يمكن أن يكون هذا صحيحا بالنسبة لفروع العلوم المتعلقة بالإنسان- طالما أن التقصي والبحث في هذا المجال يمكن فصله تماما عن كل نوع من أنواع العلاقات البينشخصية؟ وهنا يبدو لي أن ثمة تشكل موضوعاتي راديكالي يشكل عائقاً أمام الموضوعية. كلما زاد الشك حول نجاح التواصل، كلما زاد عظم الجهد الذي يجب أن يبذله أولئك الذين يحاولون تأسيسه، لتوضيح أنظمتهم المرجعية والطرائق (المناهج) المحددة لتداخلهم البين ذاتي. يمكن وصف هذا الجهد بأنه تجربة عقلية يتم فيها التحكم في التعيين خارجي التشكل المحدود، ويقلل من الآثار السيئة المرضية للإسقاط. وإذا تحدثنا بشكل عام، فإن النظام الفعال للتواصل اللفظي، الذي يُنظر إليه من وجهة نظر واقعيته الذاتية، هو نظام يعتمد فيه التمايز والمعرفة الموضوعية لوجهات النظر المعنية على التعيين المتناقض والتبادلي بين ذاتين. إن أسلوب عكس الأدوار لا يجلب عاملاً غريبا خارجيًا إلى المناقشة، ولكنه يمتد فقط ليشمل ويتسع لسمة أساسية في التواصل اللفظي.

التعيينات ومتغيرات الشخصية

هل يمكن بالاستعانة بهذا المخطط التفصيلي لمشكلة التعيينات أن نعزل بعض المتغيرات في التحديد الاجتماعي للشخصية؟ نحن نعلم، أنه كانت هناك محاولات للقيام بذلك، ولكن لم يتم التحقيق بشكل شامل في مسألة التعيين. قد يبدو هذا مفاجئًا، في ضوء الأدبيات الواسعة حول الإسقاط. لكن الاهتمام يكمن في لفت الانتباه إلى الدور الذي تلعبه العوامل المكونة التي لها نزعة روحية أو مجسمة، في حين أن النهج المتبع عادة ما يكون ذا طبيعة تشكل موضوعاتي مجرد. إذا أردنا الحصول على إجابة مرضية، فيجب إنشاء نموذج كامل. ولذلك، سأقتصر على الإدلاء ببعض التعليقات.

1. يمكن الحصول على المحك الأول من خلال النظر في القوة النسبية للميل نحو التعيين الذاتي والقدرة على التشكل الموضوعاتي. يتمتع بعض الأشخاص بقدرة رائعة على التعيين الذاتي، بينما يبقيها آخرون تحت السيطرة باستمرار وقيد الفحص من خلال اللجوء إلى التشكل الموضوعاتي. إن هذه الظاهرة، الواضحة بشكل خاص في أنواع بعينها من العلاقات التحليلية النفسية، هي إلى حد كبير نتاج ثقافتنا. وإذا كان صحيحًا أن التعيين الذاتي قد يكون له تأثير جيد على العلاقات البينشخصية وعلى التواصل بين شخص وأخر، فقد يصل عالم النفس ويبلغ إلى استنتاج مفاده أن ما هو مطلوب لجعل هذا التعيين الذاتي يعمل بشكل صحيح هو قدر بعينه من المرونة التي تسمح للتعيين الذاتي والتشكل الموضوعاتي على اللعب بالتناوب. . وبشرط احترام حدود معينة، حتى ولو كان الإسقاط قد يلعب دورًا مستقبليًا في التكيف مع شخص آخر وفهم الواقع والامساك به.

2. ليس كل الأشخاص الذين يعينون أنفسهم يفعلون ذلك بنفس الطريقة؛ ففي بعض الحالات قد يكون هناك مزيجا من التعيين داخلي التشكل والتعيين خارجي التشكل، بينما في حالات أخرى سوف يسود أحدهما أو الآخر.
3. ثمة محك ثالث يتم توفيره من خلال الميل نحو ضرب من التعيين الاغترابي alienatory - الميل الساذج لإسقاط الأنا على أشخاص قابلين للتبادل والمبادلة؛ وعلى الطرف الآخر، هناك أشخاص يسعون دائمًا للهروب من أي شكل من أشكال التعيين، حيث يبدو أنهم يخشون إنهم سوف يفقدون أنفسهم فيه، أو يقعون في براثن شخص ما آخر.

وليس هناك شك في أن إجراء تحقيق أكثر شمولاً سوف يعدل ويكمل هذه الآراء. سأضيف فقط أن العلاقات بين المتغيرات المختلفة يجب أن تؤخذ في الاعتبار أيضًا. على سبيل المثال، تسير الأوهام حول معرفة الذات جنبًا إلى جنب مع التشوهات الإسقاطيه في إدراك الناس الآخرين، والعكس صحيح، كما اكتشفت السيدة فرينكل برونزويك Frenkel-Brunswik، على سبيل المثال، في سياق أبحاثها. وهذا يظهر مرة أخرى أنها علاقة بينشخصية وليست مجتمعًا منعزلاً يتم استدخاله عن طريق التعيين.

لقد تجاهلت العديد من جوانب مشكلة التعيينات. ومع ذلك، أعتقد أنني أوضحت أن تطور الثقافة الغربية وتطور الشخصية يكمن في اتجاه التشكل الموضوعاتي. وهكذا، فإننا نميل إلى التقليل من أهمية الدور الذي يلعبه التعيين، باعتباره عملية أساسية يصبح من خلالها الإنسان شبيهًا بالإنسان. فالفرد، بالمعنى الأكثر حرفية للكلمة، محكوم عليه بالتعيين.

تمت في 2023 /12/18